الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

المهرجان الأدبي بالجامعة الشعبية

سميها «مؤسسة الثقافة الشعبية» ولكن مازال الإسم القديم «الجامعة الشعبية» جارياً على الألسنة، لتقدمه وخفته وثقل الاسم الجديد.. وقد رأيناه على بطاقة الدعوة إلى المهرجان كما راه في الصحف، ولكن في المهرجان نفسه وعلى ألسنة الخطباء من المشرفين عليها أنفسهم لا يزال اسم الجامعة الشعبية هو السابق الأثير. وكأنهم قد أرضوا طلبة الجامعة «غير الشعبية» بتغيير الاسم «تحريرياً» فقط، حتى لا يشركهم الشعبيون في لفظ الجامعة.. وبذلك انتفى سبب من أسباب «الاعتصام»!

ولكي تثبت الجامعة الشعبية — وأنا من المصرين على ذلك — أنها جامعة حقاً، أراد قسم الدراسات الأدبية بها أن ينظم مهرجاناً أدبياً تلقى فيه دراسات أدبية لجماعة من الأساتذة يستمع إليها المدعوون من أهل العلم والأدب ورجال الصحافة.. ولنا تعقيب في موضوع المهرجان يأتي بعد أن نلقي نظرة على برنامجه.

بعد أن افتتح المهرجان بالسلام الوطني ونشيد الجامعة الشعبية وقف الدكتور أحمد أمين بك رئيس مجلس إدارة الجامعة، فألقى كلمة قال فيها إن فكرة الجامعة الشعبية ثورة على النظم المدرسية التي كانت تقف عندها وزارة المعارف، فهي تقبل كل راغب في الثقافة غير مقيدة بسن ولا بامتحان دخول، ولا تعلم لتعطي شهادة تسعرها وزارة المالية؛ وهي تيسر الثقافة للعامل في مصنعه وللفلاح في حقله وللبنت في حارتها...، وقال إن مهمتها أن تمحو الأمية العقلية، فليس محو الأمية مقصوراً على تعليم القراءة والكتابة، وأن تكون رأياً عاماً ناضجاً يفهم حقائق الأمور ولا ينطلي عليه الخداع والدجل.

وذلك كلام قيم. غير أن الدكتور أحمد أمين بك صور المسألة على أن الجامعة الشعبية هي التي تحقق التثقيف العام المطلوب من حيث تكوين المواطن الصالح والرأي العام الناضج، كأن ليس هذا من أغراض المدارس والجامعات التي تعلم الناشئين، وهو يعلم باعتباره مؤسساً للجامعة الشعبية أنها فرصة لمن فاتهم إتمام التعليم في الصغر فهي مكملة لنقص في الثقافة لا محدثة نوعاً جديداً من التثقيف فكل ما فيها — عدا المحاضرات العامة — أقسام تعلم ما يعلم في المدارس العامة والفنية.

وبعد ذلك ألقى الأستاذ السباعي بيومي بك كلمة موضوعها «مشاهد البطولة في الأدب الجاهلي» فتحدث فيها عن حروب العرب وآثارها في أخلاقهم من حيث تكوين البطولة التي تقوم على الشجاعة ورثاء البطل الشهيد وقرى الأضياف. والموضوع من موضوعات تاريخ أدب اللغة العربية المعروفة، ولكن الأستاذ أحسن عرضه وتجميع فكرته، كما أجاد اختيار الشواهد التي كانت موضع الاستحسان ومثار التصفيق.

ثم ألقى الأستاذ مهدي علام بحثاً في «الصداقة في شعر المتنبي» قال فيه إن المتنبي لم يكن له أصدقاء، لأنه كان متعالياً لا يرى أحداً أهلا لصداقته، ولأنه كان متشائماً سيء الظن في الناس، ولأنه كان ذا أطماع يبغي الوصول إليها فيتخذ الصداقة

العمل وحاجات العيش، فتقسمتني الشواغل المتضاربة، فتفرطت عزيمتي وتبددت قوتي ولفتني الحياة في إعصار من الضيق والملل

ووسوست لي نفسي فانطلقت إلى زوجتي في دار أبيها أطلب إليها أن تعود إلى داري لترعى شأن أولادي فاستسلمت في خضوع ورضخت في استكانة

وها أنا الآن — يا صاحبي — أعيش في صراع دائم لا يهدأ ولا يستقر، أعيش بين عدوتي الخائنة، زوجتي، وبين أحبائي الأعزاء، أولادي. لا أستطيع أن أقذف بعدوتي إلى عرض الشارع فأقتل السعادة والأمان في قلوب أحبائي، ولا أستطيع أن أصبر فأراها إلى جانبي تذكرني — أبداً — بغباوتي وحمقي

فاضل محمود حبيب

ذريعة لها ثم يخرج عليها، وعلى ذلك كان البحث جـديراً بأن يسمى « عدم الصداقة عند المتنبي »

ثم تحدث الدكتور عبد اللطيف حمزة عن « الروح المصرى في شعر البهاء زهير » وكان حديثه قيما ، ومما قاله أن البهاء كان شعبي النزعة في شعره ، وأن هذه الشعبية قوة لم تتح لمعاصريه من الشعراء الذين جروا على التقليد ومحاكاة الأقدمين ، أما هو فكان يصور البيئة المصرية ويعبر عن روحها تعبيراً أصيلاً، ومن مظاهر ذلك سهـولة شعره واستعمال العبارات الفصيحة الجارية على ألسنـة الناس والتي يترفع عنها الأدباء والشعراء ويعدونها ابتذالا، ومن هذا اقتباسه الأمثال العامية، إلى شـيوع الدعابة والمرح في شعره .

وأتى بعـد ذلك الأستاذ محمد سعيد العريان بحثاً « عنوانه « ديمقراطية الأدب » فأتى في الموضوع بمحصول الدراسـة الدقيقة وهيأ بعرضه جواً من الإمتاع المعجب . قال إن الأدب عرف أول ما عرف على أنه فن من فنون الجمال أو لون من ألوان الترف العقلي ، وظل كذلك مفهومه في أجيال متعاقبة ، في العربية وغير العربية من لغات الناس ، لا يكاد يتجاوز هـذه الدائرة إلا خطوة بعد خطوة في السنين ذوات العدد، حتى التقى في هذا العصر بالحياة الإنسانية في صميمها أو أوشك أن يلتقى ، فإذا هو في حياة الناس عامل ذو أثر، وإذا هو توجيه لهذه الحياة ، وتوجيه لهذا الناس ، وإذا هو ضرورة بعد ترف ، ودعوة إلى الكمال بعد دعوة إلى الجمـال ، وكذلك عرف الإنسـان الديمقراطية أول ما عرفها على أنها مذهب من مذاهب الحكم وصلة من الصلات بين الحكام والمحكومين ثم تطور هذا الفهم على مر القرون، فإذا الديمقراطية رأى وفن من فنون الجدل العقلي ، ثم إذا هي تجربة عملية يراق على جوانبها الدم ، ثم إذا هي وعي وإحساس وفكرة إنسانية ، ثم إذا هي حكومة وبرلمان وتعاون الحاكم والمحكوم على الرقي بمستوى الحياة الإنسـانيـة . وكذلك صارت الديمقراطيـة وجـداناً إنسانياً عاما يرتفع بالمستوى العقلي العام للجماعات فوق اعتبارات الغنى والفقر وفوق اعتبارات العرق والدم واختلاف المنشأ والبيئة . وفي هذا العصر التقى الأدب بمعناه العميق الواسع » بالديمقراطية بمدلولها الوجداني الرفيع وصارت ديمقراطية الأدب — ونحن منها

كشكول الأسبوع

□ من قرارات مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة ، تعليم أولاد المرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني بالمجان في جميع مراحل التعليم . وأذكر بذلك أن الدكتور طه حسين بك اقترح على المجمع اللغوي في جلسة (٥–١٢–٤٩) وقبل توليه الوزارة — أن يسعى لدى مجلس الوزراء لتقرير معاش يكفل لأسرة المازني حياة كريمة وتعليم أبنائه بالمجان ، فقرر مجلس المجمع أن يتوجه إلى معالي الرئيس لإبلاغ هذه الرغبـة إلى معالي وزير المعارف للعمل على تحقيقها .

ولابد أن اقتراح الدكتور طه حسين بك أبلغ إلى معاليه . ولا بد أنه عمل على تحقيقه ، فتحقق شطر منه ، ونرجو أن يتحقق الباقي .

□ قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية أن يحتفل بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية في مساء يوم الأحد ١٩ مارس الحالي بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية . ويتلخص برنامج الحفلة في حديث يلقيه الأستاذ ابراهيم مصطفى عن المسابقة وموضوعاتها والفائزين فيها ، وإعلان النتائج .

□ ضم الدكتور محمد مندور إلى المحدثين والمعلقين على الحوادث بالاذاعة ، والدكتور مندور ممن يستفاد منهم في الإذاعة وغيرها ، ولـكن يلاحظ أن رؤساء الاذاعة — وهم كما هم من قبل — لم يلتفتوا إلى الانتفاع بثقافة الكاتب الوفدي إلا في هـذه الظروف ... كما كان يلاحظ من قبل الاكثار من اختيار من يلوذون برجال الحكم في العهـد المـاضي . فمتى توضع لهذه الإذاعة خطة قومية تبعدها عن مثل هذه الاعتبارات ؟ .

□ وصفت مجلة الإذاعة حفلة أم كلثوم « التي ألغيت » بما يلي : « وإن كل من استمع الى كوكب الشرق في حفلتها هذه (!) أجمع على أن الآنسة أم كلثوم كانت في أوج مجدها الفني ، قـد غنت وأطربت، واهتزت الأكف بالتصفيق والإعجاب في كل فترة من كل وصلة »

وكان المزمع إقامة هذه الحفلة في الجامعة ولـكنها ألغيت ، أما مجلة الإذاعة فقد أبت أن تعترف بهذا الإلغاء ! !

□ كانت وزارة الأشغال قد وضعت مسابقة لعمل تماثيل لعظماء التاريخ المصري الحديث كي تقام في الميادين العامة ، وحددت ثلاثة أشهر لانجازها . ولـكن الفنانين المثالين المصريين رأوا أن هذه المدة غير كافية لانجاز هذه الأعمال الفنية التي تحتاج الى وقت طويل ، ولما لم يجدوا من الوزارة استجابة لرغبتهم في تعديل المدة قرر اتحادهم عدم دخول المسابقة .

□ يخرج المجمع العلمي العربي بدمشق كتاب « عثرات اللسان » للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، وهو يحوي كثيرا من الأخطاء التي يقع فيها المعاصرون .

على الطريق – أنه فن من فنون المعرفة للسمو بمستوى العقل الانسانى ولون من ألوان الأخوة الانسانية ، ونسف الأبراج العاجية فلا تحجب حقيقة من حقائق الحياة عن ذى عينين.

وانتقل الأستاذ سعيد بعد ذلك إلى مناقشة من يقول بأن ديمقراطية الأدب هى أن تكتب للناس بلغة الناس، ومن يقول بأنها انتزاع الموضوعات من صميم الحياة التى تحيـــاها الطبقات الشعبية العامة أو الفئات الدنيا فقال : جميـل أن تكون لغة الأديب وأسلوبه وفنه فى الأداء بحيث يحس مذاقها الملايين ذات العدد من الناس ، ولكن أجمل من ذلك أن يكون الأدب توجيها إلى ما هو أرفع وأرق وأكمل، فليست المساواة هى الغاية الأولى للديمقراطية ولكن السمو هو الغاية. وقال: ليست الديمقراطية فى الأدب هى أن يكون الموضوع ديمقراطيا ، فقد يؤخذ الموضوع من طبقة عالية ويعالج على نحو يحقق أهداف الديمقراطية القومية والدعوة إلى الحرية والمساواة والأخوة الانسانية .

وتحدث الدكتور ابراهيم ناجى عن « القصة فى العصر الحديث » فاستعرض تطور فن القصة من الكلاسيكية إلى الرومانتيكية إلى الواقعية. ولوحظ أنه قصر كلامه على القصة فى العالم الغربى ولم يعرج على القصة المصرية بقليل أو كثير .

وألقى الأستاذ على الجبلاطى قصيدة جيدة وصف فيها حال الطالب بالجامعة الشعبية من حيث تيسيرها له ما يطمح إليه من تعليم وتثقيف، ومنها قوله يخاطب الجامعة :

أنت أعليت فيه أشواقه العلـ يا فأعلى ما فيه من رغبات
ومشى للجمال يدفعه الشو ق إليه وصادق العزمات
كان لولاك يقطع العيش سأما نا ملول الساعات واللحظات
لا يرى فى الحياة غير فراغ مد فوق الحياة ظل السبات

وحبذا لو قصر الأستاذ الجبلاطى كان قصيدته على الموضوع دون أن يمدح وزير المعارف ورئيس مجلس إدارة الجامعة الشعبية ومديرها العام بنحو نصف القصيدة مدحا غير وثيق الصلة بموضوعها .

وبعد فما موضوع هذا المهرجان ؟ ولم أقيم ؟ وما مدى صلته بالجامعة الشعبية ؟

يجب أولا أن نرحب بكل حفل للادب فى أى مكان ، ويجب ثانيا أن نذكر – من باب نسبة الفضل إلى أهله – جهد الأستاذ على الجبلاطى مفتش الدراسات الأدبية بالجامعة الشعبية ، الذى بذله فى إقامة المهرجان وتنظيمه ، وقد أشاد به الدكتور أحمد أمين بك فى كلمته ، وهو جهد بارز يدل على ما وراءه من محاولة إحياء الدراسات الأدبية فى الجامعة الشعبية ، وقد شاهدنا انصراف الطلبة عنها – وعن سائر الدراسات النظرية فى السنوات الماضية حتى لقد أصبح كل جهدها يكاد يكون قاصرا على الصناعات والفنون التطبيقية ، وأترك هذه الظاهرة مكتفيا بالتنبيه عليها ، لعلهم ينظرون فيها ، لمعرفة أسبابها ومعالجتها ، وأعود إلى المهرجان.

سمعنا المحاضرات التى ألقيت ، وهى ذات موضوعات مختلفة، من أساتذة أجلاء تدعوهم الجامعة إلى إلقاء محاضرات عامة فى دار الجامعة ، وهذه كل صلتهم بها . وهى موضوعات غير ميسرة أى لم يراع فيها مستوى طلبة الجامعة الشعبية ، ولم يراعى هذا؟ وأين هم هؤلاء الطلبة ؟ إن الحاضرين هم جمهور المدعوين إلى حفلة الشاى من رجال الأدب والصحافة وغيرهم من المثقفين وكبار الموظفين

لقد فهمت قبل أن أشهد الحفل أنه يمثل الجامعة الشعبية بمعنى أنها أرادت أن تبرز به جهودها الأدبية فيمن يقصدونها من الطلاب، فنرى بعضهم، ولو إلى جانب الأساتذة ، يبدى بعض ثمرات الدرس ولكننا لم نر شيئا من ذلك ، فلم نشهد الطلبة حتى فى مكان الاستماع ...

وقد رأينا أن المحاضرات كانت مختلفة الموضوعات ، ولكن يلاحظ أن محاضرتى الأستاذ العريان والدكتور حمزة وقصيدة الأستاذ الجبلاطى تجمعها سمة واحدة ذات ارتباط بفكرة الجامعة الشعبية، وكان موقع الفكرة الشعبية فى كل من المحاضرتين والقصيدة. جميلا مناسبا. وهذا يدل على أنه كان يمكن وكان يحسن أن يكون للمهرجان فكرة أدبية معينة تتجه إليها أفكار المتحدثين .

عباس خضر